ورقة بحثية بعنوان:

(الفتنة والمحنة واثرها على الفرد والمجتمع)

في الأيام الصعبة يكثر الحديث عن الفتنة، حتى أصبحت هذه الكلمة من أكثر الكلمات تخويفاً وتنبيهاً للناس من ارتكاب جملة من الأعمال أو الانزلاق إلى جملة من التصرفات تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه، لذا كان من الضروري ان نبحث في هذا الموضوع للتعرف على أنواعهاوأسبابها وسبل علاجها وأهم السمات التي تميزها، حتى يكون المرء عارفاً بها ممتنعاً أمامها.

قد تُعرّف الفتنة بأنها المحنة التي تغر الإنسان، فكل محنة أو ابتلاء يبلغان من الشدة ما قد يؤدي إلى انحراف الإنسان أو إضلاله تسمى الفتنة، وإن أمكن أن يكون للفتنة مؤديات ـ على مستوى النتيجة ـ قد لا توصف بالسلبية، وهي بذاك المعنى قد يكون لها طابع فردي، فتكون فتنة فردية، وقد يكون لها طابع جمعي فتكون فتنة جمعية، وإن كان الاستعمال الغالب للفتنة هو في طابعها الجمعي

وتماشياً مع الغالب من الاستعمال لتعبير الفتنة، سوف يكون معناها المحنة والبلاء اللذين يصيبان المجتمع، واللذين قد يكون لهما نتائج ومؤديات خطيرة من قبيل الضلال أو الانحراف أو مخالفة الدين والعقل والحكمة، أو قد يكون لها نتائج مختلفة إذا ما عمل على وعيها وفقه أسبابها وسبل علاجها.

وعطفاً على ما تقدم سيكون من المفيد الإشارة الى بعض سمات الفتنة ذات البعد الاجتماعي، حيث إن من أهم سماتها أنها تراود الهوى، وتستنفر الانفعال، وتستفز العصبية، وتقيّد فعل العقل والإدراك والروية، وتدفع في اتجاه مخالفة الشرع والدين والقانون والعرف، حيث قد يصبح السائس والقائد الغضب أو الهوى أو العصبية، بعيداً من الحدود والضوابط التي يفرضها القانون أو العرف أو تدعو إليها القيم والأخلاق.

ومن سماتها أنها بإثارتها للانفعال وقمعها للعقل، تعمل على خلط المفاهيـــــــــم، وقلب الحقائق، والتعتيم على الوقائع، وتزييف الأدلة، ما يؤدي الى إثارة الشبهات ـ أي الباطل الذي يسعى للتشبه بالحق ـ حتى ليعتقد الكثيرون أن الحق هو الباطل، والباطل هو الحق، وأن الصحيح هو الخطأ والخطأ هو الصحيح، لأنه في ظـــــــل الفـــــــتنة وانعدام الرؤية، سوف يشتبه الحق بالـــــــباطل حتى يعد الحق باطلاً والباطل حقاً، وهذا ما يسمح لأهل الفتن والأهواء بتمرير الباطل بلباس الحق، وإظهار ما هو منافٍ للدين والقيم والعقل بلباس الحكمة والعلم والشرع

أما أسباب الفتنة فأهمها الأهواء والميول غير السوية في الطبيعة الإنسانية، أي ذلك الميل الكامن في الطبيعة البشرية الى التغلب والسيطرة والشجع والاستحواذ والهيمنة، بطريقة لا تعرف حدوداً في دين أو عرف أو قيم، ما يؤدي الى إيجاد بيئة اجتماعية مناسبة لاجتماع الفتنة ونموها، لأن أي فعل نحو التغلب والسيطرة وما سوى ذلك، سوف يؤدي الى التصادم والتناحر الذي قد تُستخدم فيه كل الأسلحة وخصوصاً سلاح الكلمة والإعلام الذي سوف يستثير العصبيات والمفردات التي يعتقد اجتماع الفتنة أنها تقوّي موقفه وتدعم جبهته، بما فيها تشبيه الباطل بالحق وقلب الحقائق وتزييف الوقائع حتى يضيع الحق على كثير من الناس. يقول الإمام علي (ع): «إنما بدء وقوع الفتن من أهواء تُتبع، وأحكام تُبتدع، يُخالف فيها حكم الله، يتولى فيها رجال رجالاً، ألا وإن الحق لو خلص لم يكن اختلاف، ولو أن الباطل خلص لم يخفَ على ذي حجى، لكنه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث، فيمزجان.«... وبالتالي فإنه ومن خلال مزج الحق بالباطل والباطل بالحق، يعمل على إقحام كثير من الناس في طاحونة الفتنة، لتخدم أهواء قوم قد ضلوا وأضلوا، ومصالحهم، ونهمهم للتسلط، وجنوحهم النفسي إلى الهيمنة والإثرة والإثراء، وكل ما يراود ميولهم الغريزية. إن سعاة الفتنة يلجأون إليها، عندما يرون فيها سبيلاً إلى تحقيق مصلحة، أو الوصول إلى غاية شخصية، ولذا لا يضيرهم ان تكون الفتنة مطيّة لأهوائهم، سواء اكتست لباساً مذهبياً أو سياسياً أو عرقياً... ليس ذلك مهماً، فالفتنة تحتاج إلى بيئة مناسبة، وبيئتها كل اختلاف يتسع لبذور الفتنة، وهي تحتاج الى مادة، ومادتها من يرضى أن تقوده الشائعة ويسوسه كلام الفتنة وخطاب الفرقة. وعليه فإن الأهواء ـ بما هي جذر نفسي لفعل الفتنة ـ تتجلى في اجتماع الفتنة، على شاكلة أحكام ومواقف وأفكار، تحالف في جوهرها منطق الدين والعقل والقيم، وإن أخذت لنفسها

لبوساً آخر يجعلها أكثر مقبولية.

ولذا منطق الفتنة يتوسل التعميم، والانفعال، والضبابية، وخلط المفاهيم، بما يسهم في إتاحة الفرصة لتسلل جملة من المفاهيم والأفكار، التي تحاول أن تلبس لبوس الحق والعقلانية، من أجل جذب العدد الأكبر من جمهور الفتنة، ليكون طعمة لنابها ووقوداً لنارها.

من هنا فإن الوقوف عند أسباب الفتنة، يتيح لنا معرفة السبل التي تمكن من علاجها، حيث يجب أن ينصب العلاج في بعده الأخلاقي على معالجة الأهواء والميول النفسية غير السوية المؤسسة لاجتماع الفتنة، حيث يقول الإمام علي (ع): «اعلموا أنه من يتّقِ الله يجعل له مخرجاً من الفتن». أما المعالجة في البعد الاجتماعي، فيجب أن تنصب على التخفيف ما أمكن من منسوب الانفعال، والولاءات العمياء، والعصبيات الجوفاء، والتعميمات، والشائعات، واللجوء ما أمكن إلى منطق العقل والعقلانية، والعمل بأحكام الدين والقيم، واعتماد الحوار والتروّي، والابتعاد من التهمة، ومن إثارة أي غبار طائفي أو مذهبي أو سياسي أو عرقي، يعمل على حجب الحقائق وإخفاء الواقع.

إن تهيئة الظروف إعلامياً واجتماعياً وثقافياً وتربوياً لإعمال العقل، ونفوذ البصيرة، والعلم، ولفعل الضمير والقيم، يسهم إلى حدٍ بعيد في عصمة المجتمع من شرك الفتنة، وهنا لا بد من تأكيد الوعي وثقافة الوقاية من الفتنة، يقول رسول الله (والعرض، والذود عنه، فهنا يصبح القتال دواء الفتنة وعلاجها.ص): «ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، إلا من أحياه الله تعالى بالعلم»، وإن كانت بعض علاجات الفتنة، قد تتجاوز أحياناً العلاج الوقائي إلى العلاج الاستئصالي، وخصوصاً عندما تكون هذه الفتنة كفتنة العدوان والاحتلال، فيأتي عندها القتال والدفاع وسيلةً وحيدةً لدرء الفتنة والمنع من استفحالها، وهذا معنى قوله تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة»، لأنه في بعض الحالات يصبح القتال الوسيلة الوحيدة لبيان الحق، والدفاع عنه

انواع الفتن

والفتن أنواعٌ متعددة، فمنها فتنة المال، فكم يفتتن بالمال مَن يفتتن! ولهذا قال الله) :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ] (المنافقون:٩]، فتنة الأولاد، فكم استعصى على بعض ولاة أمر الأولاد شأنهم! فتنة النساء، فكم فتنَّ كثيراً من الرجال! وكم

جعلها الأعداء مكيدةً لإفساد المجتمع المسلم! جعلوها مكيدةً لإفساد المجتمع المسلم، فتنة مخالطة الأشرار من الكفار والمنافقين، بلاءٌ على المسلمين وشرٌ عظيم.

فتنة القنوات الفضائية والإنترنت والجوال وما فيهما من مصائب، فكم فتَنَتْ كثيراً من الناس، لا سيما شبابنا! فتنة ما يثير الغوغائيون من الشكوك والخلافات وتحريض بعض الناس على بعض؛ مما أحدث شروراً ومصائب في المجتمع المسلم، فتنة الشائعات التي لا حقيقة لها، ونشرها لإفساد القلوب، والبلبلة بين صفوف المجتمع، فتنة المصائب والولايات وما تحدثه عند البعض من سوء العاقبة في أموره كلِّها.

ولمَّا كانت هذه الفتن تمر وتَتَجَدَّدُ في كُلِّ زمانٍ، وتخرج بأساليبَ مختلفةٍ، حذَّرَنا منها نبينا -صلى الله عليه وسلم-، ففي الصحيح عنه -صلى الله عليه وسلم- قال" :بادروا بالأعمال الصالحة فتناً كقطع الليل المظلم، يُصْبِحُ الرجلُ مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا"، فقوله: بادروا بالأعمال، أي: قبل أن يتعذر عليكم، أو تشغلكم هذه الفتن التي كقطع الليل المظلم، يلتبس فيها الحق بالباطل، يكون الرجل مسلماً في أول النهار، فتلك الفتن تؤثر على دينه ومعتقده، ويصبح كافراً، وبالعكس، قال بعض العلماء: يصبح محرِّماً لدم أخيه وماله وعرضه، ويمسي مستحلاً لدم أخيه وماله وعرضه.

ويقول -صلى الله عليه وسلم" :-لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج"، فقوله: يقبض العلم: قبضُ العلم بينه -صلى الله عليه وسلم- بقوله" :إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالمٌ اتخذ الناس رؤوساً جُهَّالاً، فسُئِلوا فأفتَوا بغير علمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا"، وقوله: تكثر الزلازل، أي: التخويف من الله لعباده لمعاصيهم وسيئات أعمالهم، وتقارب الزمان إما بنقصه، أو بانتزاع البركة منه، ويكثر الهرج، والهرج هو القتل، نسأل الله السلامة والعافية.

والنبي -صلى الله عليه وسلم- أخبرنا أن المال فتنة، قال -صلى الله عليه وسلم" :-لكل أمةٍ فتنة، وفتنة أمتي المال"، وقال" :ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط لكم الدنيا فتنافسوها، فتهلككم كما أهلكت مَن كان قبلكم."

فتنة المال فتنةٌ عظيمة، قال الله -جل وعلا) :-إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ] (التغابن:١٥]، لا شك أن محبة المال غريزةٌ في النفوس،)وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً] (البلد:٢٠[،)وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ] (العاديات:٨]، ولكن فتنة المال تُعمي صاحب المال من جهة جمع هذا المال، وتنميته، والإنفاق، والمباهاة فيه، فإن البعض من الناس يحمله حب المال والافتتان بالمال أن لا يبالي بأيِّ طريقٍ حصل على المال، أحصل عليه من طريقٍ مشروع، أم حصل عليه من طريقٍ غير مشروع؟ لا يبالي بالمال، الطريق سليم أم غير سليم؟.

ولهذا جاء في الحديث" :يأتي على الناس زمانٌ لا يبالي العبد بمَ كسب من المال، أمِن حِلٍّ أم من حرام"، فُتِنَ بجمعه فأشغل وقته به، عُذِّبَ به لأنه لم يتخذه وسيلة لما ينفعه في الآخرة،)فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ] (التوبة:٥٥]، هذا المال الذي ناله من غير طريقٍ مشروع، إن أنفقه على نفسه لم يؤجر عليه، وإن تصدق به لم تقبل صدقته منه، وإن أبقاه لم يبارك له فيه، وإن خلَّفه كان زاده إلى النار، وربَّ وراث أحسَن فيه، واتقى الله فيه، فصار على الجامع غُرْمُه، وعلى الوارث غنمه، والله حكيمٌ عليم.

فليتق المسلم ربه، وليحذر فتنة المال، وأن يكون واقعاً في كسبه حرام، فالربا، والسرقة، والغصب، ونهب الأموال، وجحد الحقوق، وجحد الأمانات، والتعدي على الأموال العامة بأيِّ وسيلة كانت، وليعلم أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

الفتنة في الأولاد، حب الأولاد غريزةٌ في النفوس، ولكن الله حذرنا بقوله) :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ] (التغابن:١٤]، وقال) :إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ] (التغابن:١٥]، فهم فتنةٌ لمن افتتن بهم، حب الولد أحياناً يحمل الإنسان على أن لا يربيه التربية الصالحة، لا يحذِّره من منكر يراه واقعاً فيه، ولا يأمره بواجبٍ يراه مقصِّراً فيه، يترك تربيته، وتوجيهه، والأخذ على يده، بدعوى محبته ورحمته.

ولا يعلم هذا الإنسان أن التربية الصالحة، والتأديب الطيّب أنه مصلحةٌ للابن، وخيرٌ تسوقه للابن، ففي الحديث،" ما نحل والدٌ ولداً خيرٌ من أدبٍ حسَنٍ"، فالأدب الحسَن، والتربية الصالحة، خيرٌ للأولاد في حاضرهم ومستقبلهم، والرحمة والرقة إذا حملت على تعطيل التربية والتوجيه وإقامة ما اعوجَّ من الأخلاق كانت تلك رحمةً سيئة، لم تكن رحمة، ولكنها نقمةٌ في الحقيقة.

وايضا فتنة النساء عظيمة إلا من عصم الله من الناس، كم يفتتن الرجال بالنساء! وكم تكون المرأة المسلمة سبباً لافتتان الرجال بها! من حيث التبرج، والسفور، والاختلاط بالرجال، والخلوة الممنوعة، كل هذه أمورٌ تسبب افتتان الرجال بالنساء، إذاً؛ فالمرأة المسلمة مطلوبٌ منها تقوى الله، والبعد عن التبرج والسفور، والبعد عن مخالطة الرجال، والخلوة بمن ليس محرماً لها، "ما خلا رجلٌ بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما. "

أيتها المرأة المسلمة: فصوني عرضكِ، واتقي الله في نفسكِ، واحذري أن تكوني سبباً في إغراء الرجال وتطلُّع الأبصار إليكِ، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول" :ما تركت بعدي فتنةً هي أضرُّ على الرجال من النساء"، ويقول -صلى الله عليه وسلم" :-اتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء. "

وايضا من أنواع الفتن، فتنة القنوات الفضائية والإنترنت وأمثالها، هذه وسائلُ فيها خيرٌ لمن أراد الخير، ولكنَّ -للأسف الشديد!- كثيراً من الناس استعملوها في غير الخير، فأشغَلَتْ أوقاتهم، وغيَّرت أخلاقهم، وحرَّفت أفكارهم، وغيّرت نمط حياتهم، وقلدوا ما رأوا فيها وشاهدوه من غير رَوِيَّةٍ ولا بصيرة، فلْنَكُنْ على حذَرٍ مما يُعرض ويُنشر، لنكن على حذر، لا يروج الباطل علينا، ولا يفتننا النظر إليها بالتقليد الأعمى، لنكن واقعيين، نقبل الحق ونرفض الباطل، ونُعرض عن المواقع السيئة المشبوهة، إلا إذا كنا نريد نقضها، والرد على أهلها، وتبيين الباطل ودحضه بالحق،)بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ] (الأنبياء:١٨. [

وكذلك المناصب وتوليها فتنة، هي فتنةٌ يفتتن بها كثيرٌ من الناس، فكم من إنسانٍ صالحٍ مستقيم عندما يبلغ منصباً معيناً يُغريه ذلك المنصب فيملؤه كِبراً، وتكبراً، وإعجاباً بنفسه، واحتقاراً للآخرين، وظلماً وعدواناً، ولا يعلم المسكين أن الدنيا ذاهبةٌ ومن عليها، وأن المؤمن يتخذ عملاً صالحاً ليبقى له، أما الكِبر والإعجاب بالنفس والانخداع بها فذاك ضررٌ عظيم.

فتنة الاختلاط بالأشرار من الكفار والمنافقين فتنةٌ عظيمة، لأجلها ضل كثيرٌ من الناس، فمن آثار الاختلاط بالكفار والمنافقين ما يوردونه من فتنٍ ومصائب، من قدحٍ في الشريعة وإساءة الظن بها، واعتقاد أنها ناقصة، لا تواكب متطلبات العصر، ولا تواكب حاجات الناس، فيشككون في الشريعة وفي حمَلَتِها، ويطعنون في أهل العلم، ورجال الحسبة، ومن يأمر بالخير وينهى عن الشر، فهي فتنة إلَّا لِمَن عصَمَهُ الله ونجَّاهُ من تلك المصائب.

فتنة الشائعات، فهناك الشائعات وبث الدعايات المضللة والآراء الفاسدة، ونشرها بين المسلمين، فالشائعات كثيرٌ منها ضلالٌ وفساد، والله -جل وعلا- حذَّرَنا من الانقياد إليها،)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ] (الحجرات:٦]، فالإشاعات فتنةٌ عظيمة، تُروِّج هذه الإشاعات الباطل والزور، والكذب والبهتان، فليكن المسلم على حذرٍ منها.

إن الفتن عظيمة، فتنةٌ في المال والنساء، فتنةٌ في الأولاد، وفي الشائعات، وفتنةٌ في الإعلام الخارجي، وفتنةٌ في كثيرٍ من الأمور، فلنتق الله في أنفسنا، ولنبحث عن وسيلةٍ تخلصنا من هذه الفتن، ولا منجى منها إلا بالاعتصام بكتاب الله، وسنة نبينا -صلى الله عليه وسلم-، ففيهما النجاة لمن تمسك بهما، والهداية لمن عمل بهما،)وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا] (آل عمران:١٠٣.[

ولزوم جماعة المسلمين، فالجماعة رحمة، والفرقة عذاب، والالتفاف على أهل العلم والتقى والدين، والله يقول) :وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ] (النساء:٨٣]، فأي شائعات وأي أفكار ضالة، يجب أن نقف معها موقف التمحيص والتنقية، فما كان من حقٍّ قبلناه، وما كان باطلاً وضلالاً رفضناه، هكذا يكون الناس؛ البعد عن مواضع الفتن، والخلوص منها، وعدم الانسياق إليها.

أسأل الله أن يثبتنا على دينه، وأن يعيذنا من مُضِلَّاتِ الفِتَنِ، ما ظهر منها وما بطن، إنه ولي ذلك والقادر عليه، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

أ.م.د اسراء مؤيد رشيد